Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا ينهض بها نص آخر خال تمامًا من مثل هذه التعاملات الصياغية.

وقد وضع ابن الأثير تصورًا للالتزام الناجح فاشترط فيه عدم التكلُّف. والمتكلّف -فى نظره- "هو الذى يأتى بالفكرة والرويّة، وذلك أن ينضى الخاطر فى طلبه، ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره، وغير المتكلّف يأتى مستريحا من ذلك كله، وهو أن يكون الشاعر فى نظم قصيدته أو الخطيب أو الكاتب فى إنشاء خطبته أو كتابته، فبينما هو كذلك إذ سنح له نوع من هذه الأنواع بالاتفاق لا بالسعى والطلب".(١) فى هذه المقولة يتضح المقياس الأساسى الذى انبنت عليه نظرية ابن الأثير فى تحديد الالتزام المتكلف فقد اعتبر تبييت النيّة لاستخدام وسيلة تعبيرية ما والسعى فى طلبها علامة ثابتة على وقوع التكلف، جاعلاً الإجادة -كما يفهم من خلال السطور- متعلقة بعفوية الحديث الأدبى، حيث يتفق للكاتب أن يعثر على التعبير الملائم باستخدام هذه الوسيلة أو تلك دون أن يبيت النيّة لاستخدامها. والناظر فى "المثل السائر" يستطيع أن يستشف منطلقات ابن الأثير فى صوغ مبادئه البلاغية، وأظهرها تأكيده فكرة أن الخلق الفنى الجيد الذى يخلو من تكلّف هو "طبع" لا "صنعة"،(٢) طبع مؤسس على إلهام طبيعى وخارق إلى حد أن من يمتلكه تأتيه المعانى سهلاً ورهواً، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً.(٣) وحين يقع حديث عن انثيال الألفاظ ومجيء الالتزام الجيد بالاتفاق لا بالسعى والطلب، فلا مناص من طرح سؤال حول مدى اتفاق هذا القول مع مبدأ الاستخدام الأسلوبى الواعى الذى تؤكده النظريات الأسلوبية الحديثة. ضمن هذا المنظور، ستكون دراستنا للالتزام فى النص القرآنى لفحص كونه استخدامًا خاصًا، وبيان مساهمته فى مبنى الكلام ومعناه.

ويتوجّه البحث فى مرحلة أولى إلى مستوى المبنى لتحديد أنماط الالتزام الموظفة فى النص القرآنى، ورصدها رصدًا كميا يقيس كثافة كل نمط منها، ويكشف عما إذا كان النص يكرر أجراسًا محددة ذات طبائع خاصة، ليعقب ذلك محاولة تفسير فعاليتها فيه، ومعرفة كيف يخلق دفقها المتآزر مع السجع حركته

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير، جـ١، ص ٢٦٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه، جـ١، ص ٢٦٩.

(٣) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، جـ٢، ص ١٣.